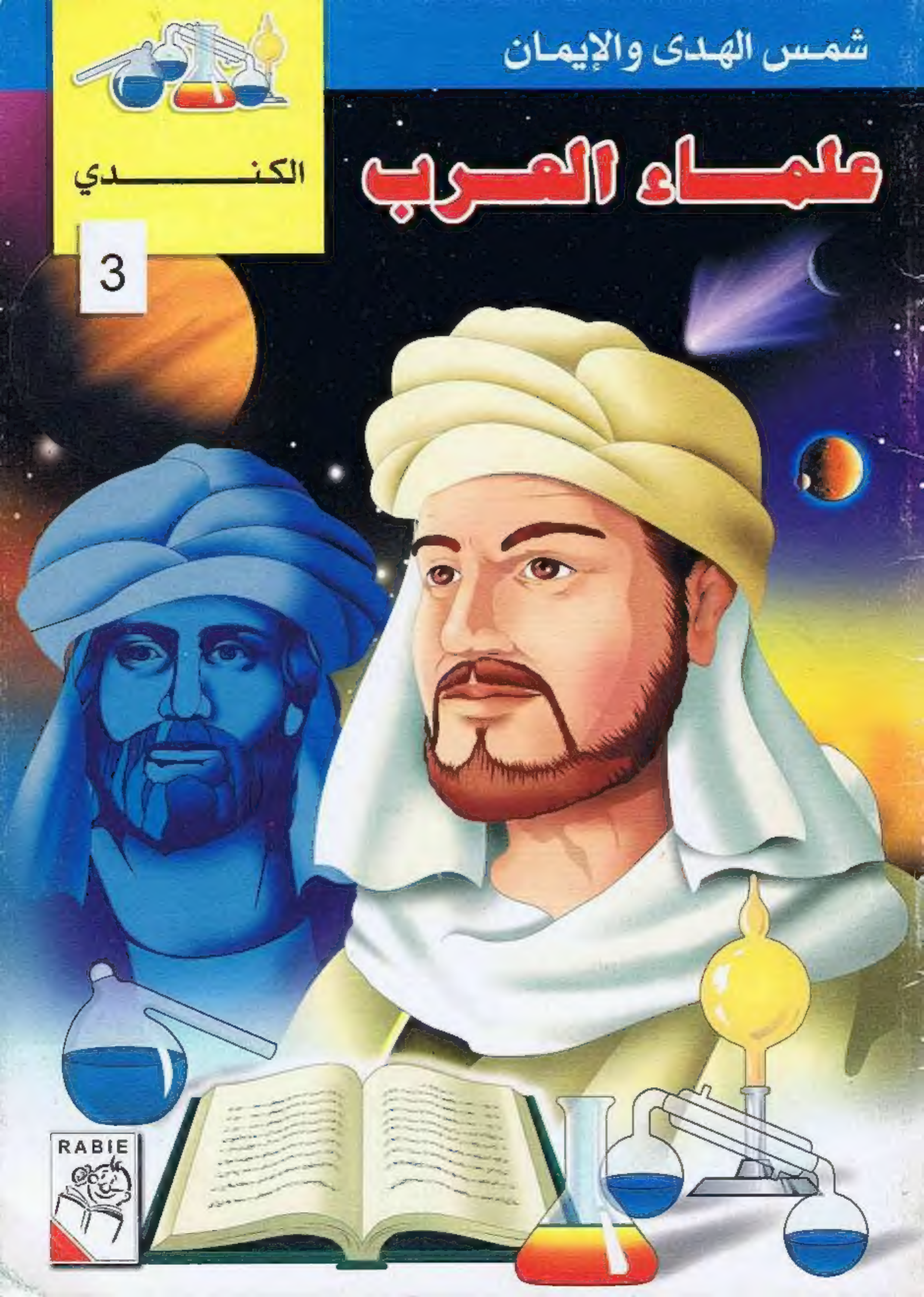


شمس الهدى والإيمان

الكنز دي

3

علماء العرب



الهدى والإيمان

علماء العرب

1 - 16 جزءاً

الكندي

تأليف

محمد كمال

الكندي

الفلسفة

أطلق العربُ على العالمِ الكِنديِّ لقبَ (فيلسوف العرب) لأنه أولُ مَنْ وَفَّقَ بينَ الدينِ والفلسفة ، ونفى عن الفلاسفة تَهْمَةَ الكفر والإلحاد التي كانوا يُرمَوْنَ بها .

والفلسفة تعني تفسيرَ المعرفة تفسيراً يعتمد على العقل ومقاييسه ، ولهذا خاضَ الفلاسفة في جميع ميادين المعرفة ، كالمنطق والأخلاق وعِلْمِ الجمال والعقائد الدينية .. فمن هو الكندي ؟

حفيد الملوك

هو أبو يوسف ، يعقوبُ بن إسحاق الكنديُّ المنسوب إلى قبيلة (كِنْدَة) العربية . ولد في الكوفة سنة 185 هـ - 801 م . وقد سرت في عروقه دمَاءُ الملوك من عهد أجداده القحطانيِّين الذين كان لهم حُكْمُ اليَمَن في الجاهلية . وكان جدُّه الخامسُ الأشعثُ بن قيسٍ قد وفدَ على الرسولِ الكريم مع وفدِ كِنْدَة في موكبٍ يتألف من ثمانين فارساً مكحلي العيون ، وعليهم الحُللُ الحريرية الزاهية ، فلَمَّا أسلموا قال لهم الرسولُ ﷺ :

وقد حَسُنَ إسلامُ الأشعث ، فتخلى عن مُلكه ، ثم هاجر إلى الكوفة ،
 وشارك في معركة اليرموك والقادسية وهاوند ، وكان مع الوفد الذي بعثه
 سعدُ بنُ أبي وقَّاص إلى مَلِكِ الفرس يدعوهُ إلى الإسلام .
 ولما مات الأشعث بن قيس ، تحركت الأطماعُ السياسيةُ في نفس ابنه
 محمد بن الأشعث ، فتمكَّن في عهد الخليفة الأمويِّ يزيد بن معاوية أن ينفردَ
 بإمارة الموصل . ثم حدثت اضطراباتٌ سياسيةٌ داميةٌ أدَّت إلى قتله وهُدْمِ
 داره .
 أمّا عبدُ الرحمن بن محمد ، الجدُّ الثالث للكندي ، فقد كان حاكماً على
 سجِسْتانَ في بلاد فارس ، ثم غدا قائداً للجيش في البصرة والكوفة . فثارَ
 على الأمويين ، وجرت بينه وبين الحَجَّاجِ والي العراق معاركٌ طاحنةٌ ، انتهت
 بمقتله وضياع أحلامه .
 وأمّا إسحاقُ والدُ الكندي فقد أصبح والياً على الكوفة سنة 159 م في
 عهدِ الرُّشيد . فكان يسكن في قصرِ الإمارة الذي وُلِدَ فيه فيلسوفنا الكبيرُ
 يعقوب بن إسحاق الكندي .

المدرسة الأولى

كانت الكوفة مدرسةً الكندي الأولى ، فقد مات أبوه وهو طفلٌ
 صغيرٌ ، فلم يستمتع بالعزِّ الذي كان عليه أجداده ، لا سيما وقد هاجر
 معظمُ بني الأشعث وتشتتوا في البلاد .

ولكن أمة الواعية الحصيصة لم تشأ أن يضيع ابنها مع ما ضاع من أئمة
ومجد ، فرأت أن العلم خير لهذا الفتى من ترف الحكم وعز الرئاسة ، فدفعته
إلى تعلم القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، وتعلم الحديث الشريف
وأصول الفقه ومبادئ النحو ، ومهدت له الطريق إلى قراءة الشعر العربي
وإتقان لغة العرب ، لمعرفة أسرار البلاغة وأسباب الفصاحة .
ولما استكمل هذه العدة التي لا بد منها ، نظر حوله فرأى أساتذته من
رجال الفكر والعلم قد تباينت آراؤهم ، وتعددت فرقهم ، يناظرون
ويناقشون بحرية تامة لا يقيدها حاكم ، ولا يحد منها سلطان ، فارتاح
الكندي إلى هذا الوسط المتحرر ، وأخذ يخوض فيما يسمى بـ (علم
الكلام) لأنه علم الخاصة من العلماء الذين يجلون العقل ، ويجعلونه المعيار
في الحكم على الأمور .

ولكن الكندي الذي نضج عقله وفتحت ملكائه ، رغب في أن يتجاوز
علم الكلام إلى الفلسفة ، لما فيها من تنوع في الأفكار ، وتشعب في الآراء ،
فليس أمامه إلا أن يشد الرحال إلى بغداد ، فهناك ملتقى المثقفين ومنتجع
الفلاسفة .

في بغداد

كانت بغداد آنذاك عاصمة العلم ومركز الحضارة العربية الإسلامية ،
وكانت حركة الترجمة تواصل مسيرتها منذ عهد الخليفة المأمون الذي أرسى

دعائِمْهَا إلى جانب النشاطات العلمية الأخرى ، فأَكَبَّ الكنديُّ في بغداد على تعلُّم اللغة اليونانية ، وقراءة كتب أرسطو في المنطق والطبيعة والأخلاق ، ودراسة ما نُقِلَ من كتب أبقراط وجالينوس في علوم الطب ، ثم درس هندسة أقليدس وعلم الفلك من كتاب المجسطي ، كما توثقت معرفته بالرياضيات التي كانت شديدة الصلة بالفلسفة .

وهكذا كان للكندي فضلٌ كبيرٌ في ترجمة هذه العلوم من اللغة اليونانية ، وجعلها ميسرةً أمام القارئ العربي ، بعد أن أخضع هذه الترجمات إلى الذوق العربي ومقتضى التفكير الشرقي ، مُلبساً إيَّها ثوباً من العبارات الفصيحة والتراكيب المبسطة ، ولا يتأتَّى ذلك إلا لمن هضم النصَّ الأصلي ، وفهم أبعاده ومراميهِ ، ووفق بين الصياغة اليونانية والصياغة العربية . إلا أن الكندي كثيراً ما كان يُعْغِي هذه الترجمات بالشرح والتفسير .

في بلاط الخلفاء

أخذ اسمُ الكندي يطرُقُ أسماعَ العلماء والمفكرين في عصرِهِ ، فعرفوا فيه العالمَ المشعَّبَ الجوانبِ ، المتعدّدَ المنازعِ ، حتى سمع به الخليفةُ المعتصم ، فانتدبه لتعليم ابنه أحمدَ وتثقيفه . فكان هذا الولد النجيب يسأل أستاذه ، فيجيبه الكنديُّ عن أسئلته العلمية والأدبية إجاباتٍ مكتوبةً في رسائلٍ صغيرةٍ يتناقلها الناسُ فيما بعد ويتدارسونها ، فكانت دولةُ المعتصم تتباهى بهذا العالم وتزِينُ بمصنّفاته .



إلا أن هذه المنزلة السامية التي تبوأها الكندي عند الخلفاء لم تكن
 لترضي سائر علماء البلاط ، فأخذوا يكيدون له ، ويدبرون له المكائد
 والدسائس ، لينفردوا وخدعهم بالحظوة والجاه .

فهذا محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكِر ، كانا عالِمين بالهندسة والحِيل ،
فأوغرا صدر الخليفة المتوكل على الكندي ، مما دفع المتوكل إلى ضربه
وإبعاده عن البلاط ، حتّى إن مكتبة الكنديّ المعروفة بـ (الكنديّة)
أصبحت نهباً في يد هذين الرّجلين .

ولكن لا بدّ أن يقع الإنسان في سوء فعله ، ويعاقب على ذميمة أخلاقه .
فقد كلف المتوكلُ محمداً وأحمدَ ابني موسى بن شاكِر بحفر نهرٍ قرب قصره
(الجعفرى) . فندبا لهذا العمل مهندساً كان صديقاً لهما ، فحدث أن أخطأ
هذا المهندسُ في حساباته ، ونتج عن ذلك أن جاء منبعُ النهر أخفضَ من
مجراه ، فامتنع تدفقُ الماء في النهر ، فغضب المتوكلُ ، وحمَلهما تبعه هذا
الخطأ ، ثم أرسل في طلب رَجُل اسمه سَنَدُ بنُ عليّ كانا قد أساءا إليه في
حضرة المتوكل وذمّاه ذمّاً قبيحاً ، فلما حضر سَنَدُ قال له المتوكلُ وهو يشيرُ
إليهما :

- ما ترك هذان الرديّان شيئاً من سوء القول إلا وقد ذكراك عندي
به ، وقد أتلفا جملةً من مالي في هذا النهر ، فاخرج إليهِ حتّى تتأمّله وتخبرني
بالغلط فيه ، فإني قد آليتُ على نفسي إن كان الأمرُ على ما وصفا لي أن
أصلبهما على شاطئه .
فلما خرجوا من عند المتوكل أخذ محمدٌ وأحمدُ يستعطفان سَنَداً ،
ويطلبان منه العفو عما زلّ به لسائهما ، وما فرطاً في حقّه لدى المتوكل ،
ولكن سَنَدُ قال لهما :

- أنتما أعلم بما بيني وبين الكندي من عداوة وخصام ، ولكن الحق أحق أن يتبع ، أكان من الجميل ما فعلتماه بكتبه ومراجعته ؟ والله لا أسمع منكما أي كلام حتى تردّا الكتب إلى الكندي .

فبادرا مسرعين ، والخوف من عقاب المتوكل يلاحقهما ، فردا الكتب إلى الكندي ، وأخذا منه إيصالاً بتسلّمه إياها جميعاً ، ثم رجعا إلى سند ومعهما الإيصال ، وسألاه : وماذا عن النهر ؟ فأجابهما :

- إن الخطأ في هندسة النهر سوف يزول عندما يفيض نهر دجلة بعد أربعة أشهر ، وبذلك يرتفع الخطأ عنكما .

وبعد أربعة أشهر جرى الماء في النهر ، واستراحت نفس المتوكل لذلك ، فعفا عنهما .

الكندي البخيل

لم ينجُ الكندي من ألسنة الناس وقوارص كلامهم ، لعلهم بذلك يشوهون سمعته ، ويزعزعون مكانته المرموقة التي بلغها عند الخلفاء والأمراء . فهذا الجاحظ يسجل في كتابه (البخلاء) ما روي له عن بُخل الكندي من نوادر ، وما تناقلته الألسنة من طرائف .

من ذلك أن أمّه أرسلت تطلب منه ماءً بارداً . فقال لجاريتته : املئي الكوز بماءٍ ساخنٍ من عندها ، وأفرغيه عندنا ، ثم املئي لها الكوز من عندنا بالماء البارد . ولما سألتها الجارية عن سبب ذلك قال لها بلهجة الفيلسوف :



أَعْطَيْنَا جَوْهَرًا بِلَا كَيْفِيَّةٍ ، وَأَعْطَيْنَاهُ جَوْهَرًا بِكَيْفِيَّةٍ وَهِيَ رَيْحُ الْجَوْهَرِ
الْمَاءِ ، وَبِالْكَيْفِيَّةِ الْبُرُودَةِ .

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ يَرَعَمُ دَائِمًا أَنْ يَدَارِدَ إِسْرَافَ حَامِلَاتِهِ ، فَيَنْفُخُهُ
عَلَى كُلِّ طَعَامٍ تَشْمُّ رَائِحَتَهُ ، فَكَانَ لِكَيْدِي يَطْلُبُ مِنْ خَيْرِ مَنْ كَانَ سَمِعُوا

هذه الحامل ولو بمعرفة صغيرة من ذلك الطعام الذي تفوح رائحته . وهكذا كانت أطباق الطعام تتوالى إلى بيت الكندي ، تحمل مالد وطاب من صنوفه ، فكان يقول لأبنائه :

- أنتم أحسن حالاً من أصحاب الضياع والأراضي الواسعة ، فكلّ منهم يأكل صنفاً واحداً من الطعام . أما أنتم فتأكلون من كلّ الأصناف .
- ويذكر أنه من شدة بخله وحرصه أوصى ابنه قائلاً :
- الدينار محمود فإن صرفته مات ، والدرهم محبوس فإن أخرجته فرّ .

حكمة الكندي

لم يكن اشتغال الكندي بالعلم ، في معظم وقته ، ليمتعه من لقاء الناس والاختلاط بهم . ومعرفة ما تنطوي عليه النفس البشرية من خير وشر ، وفضيلة ورذيلة . فقد حبر الحياة الاجتماعية والإنسانية خبرة تجريبية ، أهله لأن يطلق الحكمة الصائبة والرأي السديد ، بأدق الكلمات وأوجز العبارات . فمن حكمه التي سارت بها الركبان وحفظتها ذاكرة التاريخ قوله :

- من لم ينبسط خدتك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك .
- اعصر الهوى وأطع من شئت .
- لا تغتر بمال وإن كثر .

- لا تطلب حاجةً إلى كذب ، فإنه يُبعدها وهي قريبة ، ولا إلى جاهلٍ ، فإنه يجعل حاجتك وقايةً لحاجته .

ولاشك في أن هذه الحكم القصيرة العميقة أشبه بالنصائح النافعة التي إذا تأملها الإنسان وأدام النظر في معانيها ، عرف كيف يسلك الطريق إلى المقاصد الحسنة ، ويجنب نفسه الوقوع في كثير من الأضرار ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها .

غنى وتنوع

ذكر المؤرخون أن الكندي قد خلف ما يقرب من مئتين وواحد وأربعين مؤلفاً ، منها ما يمكن أن يسمى كتاباً لكبر حجمه ، ومنها ما يطلق عليه اسم رسالة ، لأنه لا يتجاوز صفحات قليلة ، ولكن يد الزمان لم تحفظ لنا من هذه المؤلفات سوى خمسين كتاباً بين مخطوط ومطبوع .

والناظر في هذه المؤلفات المهمة يستدل بها على نضج هذا العالم ، وعمق تفكيره ، وسداد آرائه ونظرياته ، كما يكشف فيها منهج الكندي في التأليف وطريقته في البحث والتصنيف .

ولما كانت معظم مؤلفاته عبارة عن إجابات عن أسئلة وجهت إليه ، سواء من أحمد بن المعتصم أم من غيره ، فإن الرسالة تقوم على ثلاثة أقسام :
- أولها : الدعاء لصاحب السؤال بالتوفيق .

- وثانيها : تلخيص السؤال ، وهو عنوان الرسالة .

لقد كان العالم في تاريخنا الإسلامي لا يكتفى بفرع واحد من العلوم يختص به ويتفرغ له ، كما هو الشأن في أيامنا هذه ، بل كان لا بُدَّ له من أن يأخذ من كل علم بطرفٍ ، ومن كل فنٍّ بجانبٍ ، ولهذا نرى الكندي قد بحث في الفلسفة والمنطق والحساب والهندسة والموسيقا والفلك والطب والسياسة والعلوم الطبيعية وعلم النفس .

إنجازات الكندي

لقد استحق الكندي عن جدارة ومقدرة لقب (فيلسوف العرب) اعتماداً على كتابه القيم (في الفلسفة الأولى) الذي أهداه إلى الخليفة المعتصم .

وفي هذا الكتاب نجد عمق آرائه الفلسفية التي عاجلت مختلف شؤون المعرفة ، والتي جاءت موافقة كل الموافقة لآراء أرسطو الفيلسوف اليوناني المعروف ، وهذا ما أدهش الكثير من الباحثين والمستشرقين في عصرنا الحاضر حين درسوا كُتبه واطلعوا على أبحاثه .

لقد آمن الكندي بجدوى الفلسفة وضرورة التفكير ، في وقت كان علماء الشريعة يخشون أن تتعارض هذه الفلسفة مع العقيدة ، وتناقض مبادئ الدين الحنيف ، فسعى سعيه إلى التوفيق بين الدين والفلسفة ، ونفي تهمة الكفر والإلحاد عن الفلاسفة . إذ كان يرى أن موضوع الفلسفة هو معرفة الله ووحدانيته ، ومعرفة الفضائل النافعة لاتباعها ، والردائل الضارة لاجتنابها ، وهذا هو عينه موضوع الدين وجوهره الحقيقي .

وفي مجال الموسيقى كان الكندي أول من وضع القواعد والأصول النظرية التي تُبنى عليها أنواع الغناء والتلحين ، فمهّد بذلك الطريق أمام العلامة الموسيقيّ الفارابي الذي كان له شأنٌ كبيرٌ في هذا الميدان .

وفي مجال الكيمياء وضع الكندي عدداً من الرسائل تتضمن الأسس الأولية لصناعة العطور وتحضيرها ، ووقف يعارض بشدة تلك النظرية التي كانت شائعة في عصره حول إمكان تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب .

وفي مجال علم النفس تحدّث الكندي عن النوم والرؤيا ، وقرّر أن النفس الإنسانية لا تنام أبداً ، وإنما هي في حالة يقظة دائمة ، وقال :

— إن النفس بسيطة ، ذات شرف وكمال ، عظيمة الشأن ، جوهرها من جوهر الباري عزّ وجلّ ، كقياس ضوء الشمس من الشمس .

على فراش الموت

أصيب يعقوب بن إسحاق الكندي في آخر حياته بداء في ركبتيه ، أخذ يسبّب له آلاماً شديدة مبرّحة ، فلم يترك وسيلة للعلاج إلا حاول تجربتها ، فلم تُجدِ نفعاً ، حتى انتقلت هذه الآلام إلى رأسه فأقعدته عن الحركة والتفكير .

وفي عام 252 هـ — 864 م أسلم رُوحه الطاهرة إلى بارئها عزّ وجلّ ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ، بعد أن أمضى حياته بالعطاء ، وأدّى واجبه نحو العلم خير أداء .

علماء العرب

سلسلة قصصية تروي الجانب الهام من حياة علماء العرب الذين كانوا وما زالوا مجال العزة والفخر.



- 1 - جابر بن حيان
- 2 - زرياب
- 3 - الكندي
- 4 - الجاحظ
- 5 - أبو بكر الرازي
- 6 - الفارابي
- 7 - ابن سينا
- 8 - الحسن بن الهيثم
- 9 - البيروني
- 10 - ياقوت الحموي
- 11 - الشريف الإدريسي
- 12 - ابن الأثير
- 13 - ابن بطوطة
- 14 - ابن خلدون
- 15 - الجبرتي
- 16 - عبد الرحمن الكواكبي

تأليف: محمد كمال
الغلاف: هيثم فرحات

K1G1-16

جميع الحقوق محفوظة لدى دار ربيع للنشر ، لا يجوز الطباعة أو النسخ
أو التصوير بأي شكل أو طريقة إلا بموافقة خطية من مالك الحقوق .
تم نشرها من قبل دار ربيع للنشر - حلب ، سوريا

RP© 2005 Rabie Children Books

All rights reserved , and no part of this publication may be
reproduced or transmitted in any form or by any means , electronic
or mechanical including photocopy recording or any other
retrieval system , without written permission of the rights owner .
Published by Rabie Publishing House Aleppo , Syria
P.O.Box : 7381 Tel : +963 21 2640151 Fax : 2640153
E-mail : rabie@rabie-pub.com WWW.rabie-pub.com



6 214001 450779